التشبيه وأضربه:

للتّشبيه روعة وجمال، وموقع حسنٌ في البلاغة: وذلك لإخراجه الخفي إلى الجلي، وإدنائه البعيد من القريب، يزيد المعاني رفعة ووضوحاً ويكسبُها جمالا وفضلا، ويكسوها شرفا ونُبلا، فهو فن واسع النطاق، مُتَشعب الأطراف.

ومن أساليب البيان: أنك إذا أردت إثبات صفة لموصوف، مع التوضيح، أو وجهٍ من المبالغة، عمدت إلى شيء آخر، تكون هذه الصفة واضحة فيه، وعقدت بين الاثنين مماثلة، تجعلها وسيلة لتوضيح الصفة، أو المبالغة في إثباتها _ لهذا كان التشبيه أول طريقة تدل عليه الطبيعة لبيان المعنى.

التشبيه لغة: التمثيل، قال: هذا شبه هذا ومثيله.

التشبيه اصطلاحاً: عقد مماثلة بين أمرين أو أكثر، لاشتراكهما في صفة أو أكثر، بأداة لغرض يقصد المتكلم[1]، أو هو: «صورة تقوم على تمثيل شيء (حسّي أو مجرّد) بشيء آخر (حسّي أو مجرّد) لاشتراكهما في صفة (حسّية أو مجرّدة) أو أكثر»[2].

أركان التشبيه: أركانه أربعة.

1. **المُشبه:** هو الأمر الذي يُراد إلحاقه بغيره.
2. **المُشبه به:** هو الأمر الذي يلحق به المشبه.
3. **وجه الشبه:** هو الوصف المشترك بين الطرفين، ويكون في المشبه به، أقوى منه في المشبه، وقد يُذكر وجه الشبه في الكلام، وقد يُحذف.
4. **أداة التشبيه:** هي اللفظ الذي يدلُ على التشبيه، ويربط المشبّه بالمشبّه به، وقد تَذكر الأداة في التشبيه، وقد تحذف، وتأتي:

أ. **حرفا: كالكاف** ويليها المشبه به، كما في قوله تعالى: ﴿**وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ**﴾ (يس: 39)، و**كَأَنَّ** التي يليها المشبه:

كأنك شمس والملوك كواكب* إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

وتفيد التشبيه إذا كان خبرها جامدا، أو مؤولا بالجامد، وتفيد الظن إذا كان خبرها مشتقا سواء كان فعلا أو اسما، **كأنك فَاهِمٌ، وكأنَّك تَفْهَمُ**.

---

1 جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي، ص219

2 علوم البلاغة «البديع والبيان والمعاني»، الدكتور محمد أحمد قاسم، الدكتور محي الدين ديب، ص143

ب. اسما: والأسماء المتداولة في هذا الباب هي: مِثْل، شِبْه، مُمَاثِل، قِرْن، مُضَارِع، وما كان بمعناها أو مشتقّا منها. مثال ذلك قول المجنون في ظبية:

أيَا شِبْه ليلى لا تراعي فإنّني * لك اليوم من وحشيّة لصديق**

وقول آخر:

كم وجوه مِثْل النهار ضياء * لنفوس كالليل في الإظلام**

ج. فعلا: الأفعال المحتملة في هذا الباب هي: شَابَهَ، حَاكَى، ضَارَعَ، مَاثَلَ، وَما شابه هذه الأفعال.

تفّاحة جمعت لونين قد حكيا * خدّي حبيب ومحبوب قد اتّفقا**

ملاحظة: التشبيه بكأن أبلغ من غيره ببقية الأدوات، يقول الجرجاني: «زيد كالأسد أو مثل الأسد، أو شبيه بالأسد، فتجد ذلك كلّه تشبيها غفلا ساذجا ثم تقول: كأنّ زيدا الأسد، فيكون تشبيها أيضا، إلا أنّك ترى بينه وبين الأوّل بونا بعيدا؛ لأنّك ترى له صورة خاصة، وتجدك قد فخّمت المعنى، وزدت فيه بأن أفدت أنّه من الشجاعة وشدّة البطش، وأنّ قلبه قلب لا يخامره الذّعر، ولا يدخله الرّوع بحيث يتوهّم أنه الأسد بعينه، ثم تقول: لئن لقيته ليلقينّك منه الأسد، فتجده قد أفاد هذه المبالغة لكن في صورة أحسن وصفة أخص، وذلك أنّك تجعله في (كأنّ) يتوهّم أنه الأسد، فيخرج الأمر عن حدّ التوّهم إلى حدّ اليقين»[1]، ولهذا عدّ التشبيه البليغ الذي حذف منه وجه الشّبه وأداة التشبيه أقوى أنواع التشبيه لأنّه يرفع المشبّه إلى مرتبة المشبّه به إلى حدّ المماثلة التامّة[2].

حذف بعض أركان التشبيه:

الأركان الأربعة الأولى قد تذكر جميعها في جملة التشبيه، كما في: محمد كالبحر عطاء، فقد ذكر المشبه، والمشبه به، وجه الشبه، وأداة التشبيه، وقد تُحذف الأداة كما في قولنا: محمد بحر في العطاء، وذلك إذا كان المقام يقتضي المبالغة في المشابهة، وقد يحذف الوجه، فنقول مثلًا: محمد كالبحر، أو محمد بحر، ويعرف هذا الأخير بالتشبيه البليغ.

وقد يلحق المشبه بالوجه والأداة فيحذف معهما، ويبقى المشبه به فقط في سياق الكلام، من ذلك مثلًا ما جاء في قول الله تعالى: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (البقرة: 171) تقدير الكلام هم كالصم، هم كالعمي، هم كالبكم، ففي هذه الآية تمَّ حذف الأداة ووجه الشبه،

1 دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص352

2 علوم البلاغة «البديع والبيان والمعاني»، الدكتور محمد أحمد قاسم، الدكتور محي الدين ديب، ص148

وحُذف أيضًا المشبه، وحذفه هنا في الآية لا يُخرج الكلام عن دائرة التشبيه؛ لأن القاعدة المشهورة تقول: **المقدر كالمذكور**.

أما **المشبه به فهو الذي يتحتم ذكره، ولا يتأتى حذفه بحال من الأحوال؛ لأن في حذفه تفويتًا للغرض المقصود من التشبيه**.

تقسيم طرفي التشبيه إلى حسّي، وعقلي:

طرفا التشبيه «المشبه، والمشبه به»، قد يكونا حسيين فيدركان بالحواس أو عقليين يدركان بالعقل والوجدان وليس بالحواس.

1. الطرفان حسيَّان:

أنت نجم في رفعة وضياء * تجتليك العيون شرقا وغربا**

شبّه الممدوح بالنجم في رفعته وضيائه وذكر العيون آلة البصر التي ترى، **فالطرفان حسّيان يقعان تحت البصر**، ومثله تشبيه الخدّ بالورد، وتشبيه الوجه بالقمر، وتشبيه الشعر بالليل.

ومثله ما يدرك بالسمع أو الذوق أو الشم، أول اللمس كتشبيه الجسم بالحرير في قول الشاعر:

لها بشر مثل الحرير ومنطق * رخيم الحواشي لا هراء ولا نزر**

2. الطرفان العقليّان:

كتشبيه العلم بالحياة، فلا العلم محسوس ولا الحياة وإنّما يدركان بالعقل وحده.

وهناك تشابيه يخترعها العقل وليس لها كيان خارجي سمّاها البلاغيون بالتشابيه الوهمية، وهي ما لا يدرك بإحدى الحواس، ولكنّه لو وجد فأدرك، لكان مدركا بها، ومثالها، قوله تعالى في شجرة الزقّوم: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ*طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ (الصافات: 65) فالشياطين ليس لها وجود خارجي محسوس، بل هي من عالم الغيب؛ لذلك فرؤوسها غير معروفة إلّا ما أخبرت به الشريعة، لكنها لو وجدت فأدركت لكان إدراكها عن طريق حاسة البصر. وكذلك القول في ما قاله امرؤ القيس:

أيقتلني والمشرفيّ مضاجعي * ومسنونة زرق كأنياب أغوال**

فالغول وأنيابها مما لا يدرك بإحدى الحواس، ولكنها لو أدركت لكان إدراكها من طريق حاسة البصر.

وأعلم أن الوهميّ لا وجود لهيئته ولا لجميع مادّته، والخيالي جميع مادّته موجودة دون هيئة.

3 - الطّرفان المختلفان: وهما اللذان يتكوّنان من مشبّه حسّي ومشبّه به عقلي، أو العكس.

أ. تشبيه المعقول بالمحسوس: ومثاله قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً﴾ (البقرة: 171) فالكفر، شيء عقلي، والمشبّه به الناعق الذي يصوّت للأغنام، حسّي.

وكقول الشاعر:

إنّ حظّي كدَقيق * في يوم ريح نثروه**
ثمّ قالوا لحفاة في * أرض شوك اجمعوه**

فالمشبّه (الحظّ) أمر معنوي يدركه العقل، والمشبّه به (الدقيق) أمر حسّي يدركه اللمس والبصر.

ب. تشبيه المحسوس بالمعقول: ومثاله قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ* طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُسُ الشَّيَاطِينِ﴾، فالمشبه (طلعها) حسّي يدرك بالعين واللمس، والمشبّه به (رؤوس الشياطين) عقلي.

وكقول الشاعر:

وندمان سقيت الراح صرفا * وأفق الليل مرتفع السّجوف**
صفت وصفت زجاجتها عليها * كمعنى دقّ في ذهن لطيف**

فالمشبه (صفاء الخمر وصفاء زجاجتها) حسّي يدرك بالعين، أمّا المشبه به (معنى دقّ) فعقلي لا يدرك بالحواس.

أخيرا، تبين لنا أن تشبيه شيئين أحدهما بالآخر لا يخلو من أن يكون تشبيه معنى بمعنى، أو تشبيه صورة بصورة، أو تشبيه معنى بصورة، أو تشبيه صورة بمعنى. وأبلغ هذه الأنواع تشبيه معنى بصورة، كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً﴾ ووجه بلاغة هذا النوع تأتي من تمثيله للمعاني الموهومة بالصور المشاهدة.

تقسيم طرفي التشبيه، باعتبار الإفراد، والتركيب: طرفا التشبيه «المشبه والمشبه به» إمّا أن يكونا:

1. مفردين مطلقين: إذا لم يقيّدا بشيء، نحو: ضوءه كالشمس، وخده كالورد.

2. **مفردين مقيدين:** إذا أتبعا بإضافة، أو وصف، أو حال، أو ظرف، أو سوى ذلك.

ويجب أن يكون لهذا القيد تأثير في وجه الشّبه، نحو:

الساعي بغير طائل * كالرّاقم على الماء.**

3. **مختلفين، أحدهما مطلق والآخر مقيد:**

ثغره كاللولؤ المنظوم (المشّبه به هو المقيد)، و**العين الزرقاء كالسّنان** (المشّبه هو المقيد)

4. **مركبين تركيباً لم يُمكن إفراد أجزائهما**، بحيث يكون المركب هيئة حاصلة من شيئين، أو من أشياء، تلاصقت حتى اعتبرها المتكلم شيئاً واحداً، وإذا انتُزع الوجهُ من بعضها دون بعض، اختل قصد المتكلم من التشبيه، كقوله:

كأن سهيلاً والنجوم وراءه * صفوف صلاة قام فيها إمامها**

(إذ لو قيل كأن سهيلاً إمام، وكأن النجوم صفوف صلاة، لذهبت فائدة التشبيه).

5. **مركبين تركيباً إذا أفردت أجزاؤه زال المقصود من هيئة (المشبه به)**، كما في قول الشاعر حيث شبَّه النجوم اللّامعة في كبد السَّماء، بدرر مُنتثرة على بساط أزرق.

وكأنّ أجرامَ النجوم لوامعاً * دُررٌ نُثرنَ على بساط أزرق**

إذ لو قيل: كأن النجوم دُرر، وكأن السماء بساط أزرق، كان التشبيه مقبولا، لكنه قد زال منه المقصود بهيئة المشبه به.

6. **وإما مفرد بمركب**، كقول الخنساء:

أغر أبلجُ تأتم الهُداةُ * بهِ كأنه علمٌ في رأسه نارُ**

7. **وإما مركب بمفرد**، نحو: الماء المالح كالسّم، وكقوله:

لا تعجبوا من خاله في خده * كل الشقيق بنقطة سوداء**

فالمشبه مركب من (الخال والخد)، والمشبه به مفرد وهو (الشقيق).

واعلم: أنه متى رُكب أحد الطرفين لا يكاد يكون الآخر مفرداً مطلقاً، بل يكون مركباً، أو مفرداً مقيدا، ومتى كان هناك تقييد أو تركيب كان الوجه مركباً، ضرورة انتزاعه من المركب، أو من القيد، والمُقيد.

أقسام التشبيه باعتبار الأداة ووجه الشّبه:

أولا: باعتبار الأداة: يقسم التشبيه باعتبار الأداة إلى قسمين:

1. **تشبيه مرسل:** وهو **ما ذكرت فيه الأداة**، مثال ذلك قوله:

إنّما الدّنيا كبَيْتٍ * نَسْجُه من عنكبوت**

حضرت الأداة وحضورها كما يقال: «يبقي على البعد أو الفضاء الفاصل بين الطّرفين في تصنيف الموجودات».

2. **تشبيه مؤكّد:** وهو **ما حذفت منه الأداة**، مثاله قول أحدهم:

أنت نجم في رفعة وضياء * تجتليك العيون شرقا وغربا**

فأداة التشبيه محذوفة والتقدير: أنت مثل النّجم، أو أنت كنجم ...

ومن المؤكّد ما أضيف فيه المشبّه به إلى المشبّه، ومثاله:

والرّيح تعبث بالغصون وقد جرى * ذَهَبُ الأصيل على لُجَيْن الماء**

والشاعر يريد تشبيه الأصيل بالذّهب، والماء باللّجين.

وهذا الضرب من التشبيه أبلغ، وأوجز، وأشدّ وقعا في النفس، والنكتة في بلاغته أنّه يجعل المشبّه والمشبّه به شيئا واحدا. وقد وفّق الأزهر الزنّاد إلى تفسير علّة التسمية فقال: «بغياب الأداة ينتقل التركيب من إخبار بالمشابهة إلى إخبار بالمشبّه به عن المشبّه، فهو هو، وهذا مدخل التوكيد فيه، لذلك سمّي بالمؤكّد. وفيه تضيق المسافة الفاصلة بين الطرفين فتصل التطابق أو تكاد... فغياب الأداة إيهام بالتطابق، وهو أمر يرتبط بغياب شحنة المعقولية التي يقوم عليها الجمع بين طرفي التشبيه والتي تعبّر عنها الأداة».

ثانيا: باعتبار وجه الشّبه: يقسم التشبيه باعتبار وجه الشبه إلى قسمين:

1. **تشبيه مجمل:** وهو **ما حذف منه وجه الشّبه**، وبغيابه أجمل المتكلّم في الجمع بين الطرفين فسمّي مجملا، مثاله قول ابن الرومي في مغنّ.

فكأن لذّة صوته ودبيبها * سِنَة تَمَشَّى في مفاصلِ نُعَّس**

لم يذكر الشاعر وجه الشّبه لأنّه يدرك بسرعة وهو التلذّذ والارتياح. وقد كشف الأزهر الزنّاد عن سرّ التسمية وأثرها بقوله: «وبهذا الإجمال لم يقصد الباثّ إلى تحديد مجال التقاطع وإنّما تركه غائما، وهو دون شكّ يعوّل في ذلك على حس سامعه في الاهتداء إلى ذلك المجال».

2. **تشبيه مفصّل:** وهو **ما ذكر فيه وجه الشّبه**، مثال ذلك قوله مفتخرا:

أنا كالماء إن رضيت صفاء * وإذا ما سخطت كنت لهيبا**

فوجه الشّبه مذكور في التشبيه وهو (صفاء ولهيبا)، ورأى الأزهر الزّناد أنّ: «بذكره يفصّل المتكلّم وجه الجمع بين طرفي التشبيه فيسهّل على المتلقي (السامع أو القارئ) العثور على السّمة التي يشترك فيها الطرفان، ولذلك سمّي هذا التشبيه مفصّلا، وهذا التفصيل يبقي على

الانفصال الموجود بين طرفي التشبيه إذ يشعر الباثّ سامعه بأنه يقرن بين الطرفين في نقطة واحدة وهما شيئان متمايزان في سائر السّمات».

ثالثا: باعتبار الأداة ووجه الشّبه معا: يقسم التشبيه باجتماعهما وافتراقهما إلى أربعة أقسام:

1. **مؤكّد مفصّل:** وهو **ما حذفت منه الأداة، وذكر وجه الشّبه**، ومثاله:

أنت نجم في رفعة وضياء * تجتليك العيون شرقا وغربا**

الأداة محذوفة، ووجه الشبه مذكور (الرّفعة والضياء).

2. **مرسل مجمل:** وهو **ما ذكرت فيه الأداة وحذف وجه الشّبه**، كقوله:

وكأنّ البنفسج الغضّ يحكي * أثر اللّطم في خدود الغيد**

فالمشبه: البنفسج، والمشبّه به، أثر اللّطم في خدود الملاح، ووجه الشّبه محذوف (اللون)، والأداة: يحكي مذكورة.

3. **تشبيه بليغ (مؤكد مجمل):** هو **ما حذفت منه الأداة ووجه الشّبه معا**، وهو أعلى التشبيه بلاغة ومبالغة في آن، ويأتي على صور متعدّدة تبعا لموقع المشبّه به من الإعراب، وأشهر هذه الصور:

أ. أن يكون المشبّه به خبرا للمشبّه: كقول (عمر أبو ريشة):

يا بلادي وأنت نهلةُ ظمآ * ن وشبّابة على فم شاعر**

فالمشبّه أنت، والمشبّه به: نهلة ظمآن (وهي في محلّ رفع خبر المبتدأ) الأداة: محذوفة، ووجه الشّبه مثلها محذوف وتقديره (الجمال).

وهناك تشبيه آخر. المشبّه: أنت، المشبّه به: شبّابة وهو معطوف على الخبر (نهلة)، والأداة محذوفة ووجه الشّبه مثلها محذوف.

ب. أن يكون المشبّه به حالا للمشبّه: ومثاله: **دخل نمرا، وخرج هرّا.**

فالمشبّه محذوف تقديره هو، والمشبّه به نمرا (حال) والأداة ووجه الشّبه محذوفان، والقول نفسه يصحّ في: خرج هرّا، ومثاله أيضا قول علي محمود طه:

صاح بالشّمس لا يرعك عذابي * فاسكبي النّار في دمي وأريقي**
وخذي الجسم حفنة من رماد * وخذي الرّوح شعلة من حريق**

في البيت تشبيهان:

في الأول: المشبّه: الجسم، المشبّه به: حفنة، وهو حال من المشبّه، والأداة ووجه الشّبه محذوفان.

في الثاني: المشبّه: الرّوح، والمشبّه به: شعلة، وهو حال من المشبّه، والأداة ووجه الشّبه محذوفان.

ج. أن يكون المشبّه به مضافا إلى المشبّه: ويكون فيها المضافُ مشبَّهاً به، والمضاف إليه مشبَّهاً.

ومثاله: **لبس المريض ثوب العافية**. فالمشبّه العافية، والمشبّه به ثوب، والعافية مضافة إلى الثوب. ومنه أيضا قوله إلياس فرحات:

هلّا مننت بلقيا أستردّ بها * فجر الشّباب فشمس العمر في الطّفل؟**

في الأول: المشبّه **الشباب** (مضاف إليه)، المشبّه به: **فجر** أضيف إلى المشبّه والأداة ووجه الشّبه محذوفان.

في الثاني: المشبّه: **العمر** (مضاف إليه)، والمشبّه به: **الشمس** (مضاف إلى المشبّه) والأداة ووجه الشّبه محذوفان.

وهذا من باب إضافة المشبّه به إلى المشبّه.

والريح تعبث بالغصون وقد جرى * ذهب الأصيل على لجين الماء**

شبه الشاعر **الماء بالفضة** (اللجين) في النقاء والصفاء، ثم أضاف المشبه به إلى المشبه بعد حذف الأداة، وتناسيها في نظم الكلام.

فهنا شبه الماء وهو المضاف إليه باللجين، وقد وقع المشبه به هو اللجين مضافًا إلى المشبه وهو الماء، وسمي التشبيه "مؤكدًا" لأنه أكد وقرر بدعوى اتحاد الطرفين، وأن المشبه هو المشبه به، لا يتميز أحدهما عن الآخر في شيء.

د. أن يكون المشبّه به مفعولا به ثانيا، والمشبّه مفعولا أوّلا: ومثاله قول المازني في وردة ذابلة:

ولو استطعت حنيت أضـ * لاعي على ذاوي سناها**
وجعلت صدري قبرها * وجعلت أحشائي ثراها**

في البيت الثاني تشبيهان: (صدري قبرها) و(أحشائي ثراها).

الأوّل: المشبّه: **صدري** مفعول به أوّل لـ(جعل)، والمشبّه به: **قبرها** مفعول به ثان لـ (جعل)، والأداة ووجه الشّبه محذوفان، ونفس الأمر ينطبق على التشبيه الثاني.

هـ. أن يكون المشبّه به مفعولا مطلقا مبيّنا للنّوع: على أن يكون المشبّه مصدرا مقدّرا من الفعل العامل فيه، ومثاله قول المازني في الوردة الذابلة.

وضممتها ضمّ الحبيب * ب عسى يعود لها صباها**

فالمشبّه: **الضمّ** (مصدر مقدّر من الفعل **ضممتها**) والتقدير ضممتها ضمّا كضمّ، والمشبّه به: **ضمّ**: مفعول مطلق من الفعل ضمّ، والحبيب وصف للمصدر مبينا لنوعه، والأداة ووجه الشّبه محذوفان.

و. أن يكون المشبّه به مجرورا بـ (من) البيانية التي تبينّ المشبّه: كقول الشابّي:

ورفرف روح غريب الجمال * بأجنحة من ضياء القمر**

المشبّه: **أجنحة الروح**، المشبّه به: **ضياء القمر** مسبوق بـ(من) البيانية التي بيّنت نوع الأجنحة، والأداة ووجه الشّبه محذوفان.

ز. أن يكون المشبّه به أحد التوابع: ومثاله قوله تعالى: ﴿**يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْناكَ شاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً* وَداعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِراجاً مُنِيراً**﴾ (الأحزاب: 45-46) شُ ﷺ بالمصباح المنير الذي يهدي البشر إلى الله تعالى، فالمشبّه **النبيّ** والمشبّه به: سراجا (معطوف على الحال شاهدا) والأداة ووجه الشبه محذوفان.